السنة التاسعة والعشرون — تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٦٥

شعر أحمد الصافي النجفي

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

لا شك في ان هذا الشاعر العراقي من اغزر شعرائنا العصريين مادةً ومن اوسعهم شهرةً في أقطار العالم العربي. كفى شاهداً على ذلك انه قد طبع عشرة دواوين؛ قد صدرت اربع طبعات « الامواج » وطبعتا « الاعوار »، « التيار » : « شرر » ؛ « الحان اللهيب » ؛ « حصاد السجن » ، « أشعة ملوّنة » : وطبعة واحدة من « الهواجس » ، « اللفحات » ، « الشلال » : « ومضات » .

قال احمد انه لا يستاء البتة من ناقديه.:

تركت شعريَ للناقدين مجالاً ؛ فمن شاء فلينتقد ؛
تركت بشعري بعض العيوب اردّ بها اعين الحُسّد :

له عدة قصائد يعبّر فيها عن ايقانه التام بوجود الله تعالى ، بعدما تسكع حيناً في دياجي الكفر ، فيزأ بالماديين الناكرين اياه :

الله نور الارض ، نور السما ؛ ما أنا ، ما العالم لولاه ؟

اعمى الورى من لا يرى نوره : الم يشاهد ؟ اين عيناه ؟...
آمنت بعد الكفر مستغفرًا عن جهلي بعقلي وخطاياه .

يرى في جميع محاسن الخلائق شعاعاً ضئيلاً من شمس جمال مُبدعها :

عبدتُ منك الجمال يظهر لي في كل شيء تحيره مظهركا .
مظاهرٌ قد تعددت . وبهـا اراك فردًا ولا أرى شُركا !

يصرّح بان النفوس الطاهرة ترى الله بعين اليقين . ويستهجن غباوة الملحدين المتعامين عن اوضح الادلة على وجود خالقهم القيّوم :

تعرف الله نفسٌ زاكيـات ابصرت ربهـا بعين اليقين .

هل في عقول الملحدين غباء ام في عيون الملحدين عماء ؟
ايجوز عقـلاً ان عقلاً مُبدعاً قـد أبدعته طبيعة بلهاء ؟

يؤكد ان الله وحده دائم ، وان المرء ، مع كل احواله ، هو السبيل المؤدي بنا الى خالقنا وينبوع سعادتنا :

ماذا سيبقى ؟ جواب العقل غير خفي : الله باقٍ وباقي الكون للتلف !

يقول للموت :

ليس هذي الحياة غير ستار ، فامض فينا لما وراء الستار ؛
لك فخر بان غدوت طريقاً واحـدًا يوصل الورى للباري !

لقد اجاد التعبير عن احتياجه المطلق الدائم الى رضى الله تعالى ومعونته القديرة ، على الأخص حين تثقل عليه وطأة المرض والرزية والشيخوخة :

ان لم يلح ربي ، فقلبي مُقفرٌ ، هذا الذي يسناه ليلي مقمرُ !
ان غاب ، يصبح كل شيء غائباً عني ، ويحضر كله اذ يحضر .
حسبي به اطمئنان نفس منعشٌ حتى كأني في جنان اسكر .
هذا الذي في وحدتي هو مؤنسي ؛ هذا الذي ، ان جاز دهري ، ينصر .
هذا الذي انا من حماه بمعقـل ، هذا هو الحصن الذي لا يُقهر !
هو ملجأي ، ما إن اتيت فصدني ، وهو الخليل اذا خليلٌ يغدر .
هذا الذي ملأ الحواس جميعهـا مني ، فصرت لغيره لا ابصرُ !

حداني اليك السن والسقم والبلوى ؛ اطوف بلا مأوى ، اعندك لي مأوى !
اذا لم اكن في الضر الجأ لخالقي ؛ فقل لي لمن الجأ ومن يسمع الشكوى.
اناجيك في الليل البهيم تضرعاً. فخذ بيدي. يا سامع السر والنجوى !

اجل قصيدة قرأناها من نظمه على تعظيم الله تعالى ؛ هي « الله اكبر » ! حاكم اكثر ادوارها البديعة :

أفكر بالسفاسف في الحياة ؛ واحسبها حقائق راهنات ؛
فينقطع لي سلاسل ترهاتي صياح مؤذن : الله اكبر !
وآسى لتنكر في اغترابي ؛ عن الأهلين نأي ؛ عن صحابي ؛
أصيح « الى متى ؟ » فاذا جوابي نداء مؤذن : الله اكبر !
واضرب سادراً بين الهموم ؛ واسعى للوصول الى النعيم ؛
فيدعوني الى النهج القويم هتاف مؤذن : الله اكبر !...
واذهب للتنزه في اختيالي ، وامرح بين انواع الجمال ،
فيوقفني ويسخر من خيالي نداء مؤذن : الله اكبر !
واسعى نحو آمال عظام ؛ واخشى ان يخيبها حسامي ؛
فيشفيني من الداء العقام صياح مؤذن : الله اكبر !
وانظر في مشيدات المباني ؛ وقد حفت بانواع الجنان ؛
فيدعو ثم ان الكل فان هتاف مؤذن : الله اكبر !
وتبهرني احاديث العظام وما تحويه من حكم سوامي ،
سينفذ في غد كل الكلام ، ولا يبقى سوى « الله اكبر ! »

مع كل تلك التعبيرات الصريحة الرائعة عن ايقانه بوجود الله وافتقاره المطلق الى حنانه الابوي ، وعده الموت طريقاً يوصله الى دار مولاه الابدية ، قد ابدى مرارًا ارتيابه في تلك الحقائق العظمى :

اسري ؛ الى اين ؟ لا أدري ، وقد عُقدت بالنجم والليل واللاشيء اجفاني !
وها انا بالشك استرحت ، وإن اكن قطعت بشيء ثابت ، فهو الشكُ .
تعبتْ في مفاوز الشك نفسي ، هل يقينٌ في ظله تستريحُ ؟
ما ارى حيله البطيعة الا اخرساً . كل نطقه تلميحُ .

قد تجاوز حدود الارتياب المشار اليه ، فاعلن ماديته وكفره الكاملين ، مدعياً ان نفس الانسان اوجدت الكائنات التي دونها مقاماً ؛ وان وجود هذه

هو جزء من النفس ؛ ومع ذلك يزعم ، بمناقضة رأيه السابق ، انه قد خرج من الارض بعدما صاغته يد الطبيعة :

فانني من الأرض قديماً خرجت . وها انا للارض ابغي الرجوعا .
يد الطبيعة سوّتنا بحكمتها . فما ارتضينا لنا عقلاً وتفكيرا .

لا بدع بكونه يستنتج من تلك الاضاليل المتناحشة عدم خلود النفس ومصيرها الى العدم المطلق ؛ فيقول قول المعتوه : « ان الخلود عندي وهم ليس يُعنى به سوى المجنون » . ويضيف الى ذلك .

لا اهتدي انثناء في عالم الحق . هذا مدلولي الصحيح ورديي

الحقيقة الاكيدة التي أقرّ بها ؛ كما اثبتنا في اول هذه المقالة . هي انه قضى مدة طويلة من حياته في الالحاد الكامل ؛ وله تلميحات عديدة الى ذلك :

قضيت زماناً بالعبادات جاهداً ؛ فلم استفد منها ولا حفظ ايماني .
والدين كم فيه كفرٌ ؛ والكفر كم فيه دينُ !
كأنما الانسان في دهره سيّارة تجري بلا سائق ؛
قد صُنعت في معمل بالسما ؛ وألقيت للارض من حالق !
ولّوا ؛ فربي غير ربكمُ ؛ فما يعنيه ان أدّعوه يوماً سيّدا ؛
كلا ؛ ولا مرُّ الملام يسوؤه ؛ او يبتغي بين الورى ان يُحمدا .
ما اسعد الحيوان غير مكلّف بدخول حرب الكفر والايمان !

لا غرو من كون ذلك الكفر المطلق ، الذي نرجّح سيطرته العملية على جميع قوى نفسه المتكبرة الجامحة ، قد جعله غنيمة باردة لشهوة العهارة . احمد يبغض الزواج ؛ لانه مؤسس على تضحية الوالد بذاته لخير اولاده ؛ وهو ايضاً ، الى حد ما ؛ حائل دون حيام المتزوج بفاتنات حواسه وقلبه من بنات حواء :

تبقى فتى لو عشت دهرًا اعزبا ؛ من يتزوجْ شاخ حتى في الصبا ؛
يأخذ من عيش الفتى ابناؤه حتى يضيع العمر بينهم هبا !
عفت الزواج وزيّ الغرب ؛ انهما سجن لروحي وجسمي يورث النصبا ،
حتى اكيّف روحي كيفما رغبت وكي اكيّف جسمي كيفما رغبا .

قصائده الغزلية كثيرة ، مضطرمة اللهجة ؛ وهي دليل واضح على كونه عاشقاً

وافياً متيماً للنساء ؛ حسبنا ذكر بعض ابيات منها . ولا شك في ان القارئ اللبيب يفهم ما استحى احمد من كمال ايضاحه :

قبلةٌ روحي بهـا قد سكرت ؛ فهوت واستلست طوع يديك ؛
كل روحي في شفاهي اجتمعت ؛ ولقـد افرغتها في شفتيك !

في « البرغوث العاشق » يصيح صيحة المجنون الناقد العقل فضلاً عن الذوق :

يـا ليتني برغوثة ادخـل في ثيابها !

لا يأنف من تأليه معشوقاته جبارًا :

بحسنك سوّاك الاله الهـةً يلذ لديها وعدها ووعيدهـا ؛
يخدّك نارٌ للمحبين سعّرت يطيب لكل العاشقين ورودها !

وكأن قلبي للجآذر كعبةٌ ؛ فليهم صلاتي دائمـاً وسجودي !

الهةَ الحسن ؛ من بالله سوّاكِ ؛ سوّاك ربك ام سوّتك كفاكِ ؟

لم يزل هائماً بحب النساء حتى في شيخوخته ؛ مع خور قواه ؛ قال ؛ وهو في الخامسة والستين من عمره : « ابدًا اهيم من الغرام بمهمه . » يعترف بان جنون العبارة ملازم له في شيبه ؛ فلا تردعه عنه كثرة البلايا الفادحة الناتجة عنه :

شاب رأسي ؛ يا قلب هلا تشيّبُ ؟ وذوى منّيَ القوام الرطيبُ ...
طائش ؛ لم يفدك نصح ووعظ ؛ جامحٌ ، ما ثنت هواك الخطوب ...
فيك للحسن الف جرح وجرح ؛ كدتَ تفنى منهـا ولست تتوب !

يعلماً طعن في السن ، اعرضت عنه معبوداته ، وهو لا يزال يتوق احر التوق الى قضاء نهمته من محاسنهن :

الا ، يا شيب ، انك شر جانٍ ، فانت حرمتني وصل الحسان !

قد بلغت وقاحة كفره الشهواني كونه يلتمس من مولاه اللامتناهي القداسة والعدل ، ان يجعل جحيمه الابدية ، لا في نار غضب الله ، بل في لهيب خدود معشوقاته :

ذلك اثمي ؛ ليس لي غيره ، ان كان في الثقيل من مأثم ؛
فان تكن يا خالقي ، في غد معذبي باللهب الاعظم ،
فاجعل عذابي في لظى خده ، مخلّدًا في النار كالمجرم .

مع انهماكه في التشبيب وتدهوره الى اسفل دركاته . يتنح على تعيير شعراء الجيل الصاعد بشرط معالجتهم للغزل . فيقول عنهم بكذب فاحش :

لزموا التغزل لاجتلاب مسامع ؛ ورجولتي تأبى التغزل مذهبا !

وايم الحق . ان تلك الرجولة هي التخنث باسوإ مظاهره !

لقد عبد احمد اصناماً غير النساء ؛ ومن جملتها الخمر التي يحاول سدى ان يُغرق في شرتها الشديدة أنواع احزانه وآلامه . قال عنها بعنفوانيته المألوفة :

ارحمني احجي . فلو امكنني ؛ بعتُ بكاس ترقف الف حجي ...
فلا تلمني قال المسرم بالطلا لصبح زاهد يعيد السذاجا !

لا يقف احمد عند هذا الحد من الهذيان ؛ بل يؤله السكر كما الله النساء . ويعدّد فضيلة سامية دون الصحو :

ولا يعرف السكرُ المقدّس سرقةً ؛ فما السكرُ الا القُدس والحب والطُهرُ :
وما الصحو الا للجرائم مجمعٌ ؛ تعارف فيه الاثم والفقر والكفر !

امّا الصنم الاكبر الذي عبده النجفي ؛ فهو شخصه ومجده ومزاياه التي لا ند لها في عين كبريائه المتجاوزة اقصى الحدود ؛ فلا يزال يفتخر بذاته وينظر شزرًا الى سائر البشر . هاكم شواهد عديدة على ذلك التعجرف الفاحش .

كملت فلم أعهد أعنى بمدح وتقريظ ؛ ولست أخاف ذمّا !
فليت الناس ساووني ذكاءً وحسًّا ؛ او اساويهم غباء !
لزمتُ اعتزالي اذ فقدت المماثلا ؛ وكونت من نفسي لنفسي المحافلا !
واي مليك عاش حرًّا كعيشتي ؛ وهل مجد ارباب العروش سوى وهم؟..
فلا تبن الا مثل مجدي وسؤددي ؛ فكل بناء غير ذاك الى هدم .
في كل نادٍ وكل آونة تُروى قوافٍ عن مفخري تُنبي !
كتبي بغير الروح ليست تُشترى ؛ ليست لهذا العصر بل للادهر !
وانا كالنبيّ انقل وحياً ؛ ثم يجري كالدر من فوق طرسي !
ولا يستطيع قول الحقّ فيّا سوى من كان مثلي عبقريًا .
فقُل لمن نال في نقدي فضيحته : نقدتَ باللؤم رأس الشعر ؛ يا ذنَبُ !

بسذة شاعر : قد بلغ من التكبر مبلغاً لا يمكن تجاوزه . اذ ادّعى ان له الوهبة الشعر . والحال ان ما قاله استخفافاً بكثير من النظامين ينطبق كل الانطباق على قريضه :

كم ناظم : بعض الذي قاله شعر . وباقيه دعاوى غرور!

بعد كل ما ابداه من عجرفته التي لا حد لها ، نستغرب كل الاستغراب كونه يرى نفسه ملأى بالعيوب ويعترف بعجزه المطلق عن اصلاحها :

خلوتُ بالنفس اجليها حتى تعرّت بدون لبس :
اذا بها كلها عيوب من عيب فكر وعيب حس !

والنفس لي عبد سوء آبقٌ نزق ، يُعيا به النصح والتعذيب بالنار ؛
ينوي بيَ الغدرَ لو اني وثقت به ، من لي بتقويم غدّار وفرّار !

ثم يناقض ذلك الاعتراف الذليل وادعاءه الكمال الذي لا يبهه المدح ولا يمسه الذم ، فيقول :

بنفسي عيوب جميع النفوس ، ولكنْ اجدّ لاصلاحها :
فيطربني صوت هجّائها ، ويزعجني كذب مداحها !

من اغرب مظاهر ادعاء احمد ، بل اختلال عقله ، انه لا يقيم ادنى وزن للمنطق ، فيناقض ذاته مراراً عديدة ، ويفتخر بذلك ، كأنه دليل ساطع على سمو عقله . اليكم شيئاً يسيراً من تلك المناقضات التي تُضحك الثكلى :

ومن لم يناقض نفسه غير مرة ، فتفكيره ، مهما تصرف ، جامدُ .

ارى كل شيء بغيضاً اليّ ؛ ارى كل شيء حبياً اليّ .

فمجموعة الحُسن والقبح في الكون اجمل منا قد رآه البصرْ !

يقول عن نار جهنم :

فانّ النار ، ان مُزجت بشعري ، جنانٌ للنفوس الساميات !

يقول عن الناس : « اشرف الاحياء من كان اقذر طينةً . »

الحذيان المحض اكثر من ان يُحصى في شعره ؛ يقول بلهجة المتحذلق المتفلسف ، اقوالاً بعيدة عن الصواب بمراحل ، يستحي ان يفوه بها الثلاث الأمي او الطفل الجاهل . حاكم نماذج منها ، وهي برض من عد :

كنت قبل الوجود اعتق نفساً ؛ كنت قبل الحياة اسعد جداً !

يقول للحياة :

انت والموت توأمان . فعندي تساوى ولادتي ووفاتي .

ما شقائي من الحياة بآت . بل شقائي من فهم معنى الحياة .
ليتني اجهل الحياة لأعدو مستلذاً بكرة الغفلات !

يقول للبحر :

أحب انتهائي فيك اذ انت مبدائي ؛ فما انا الا قطرة منك . يا بحر!

يقول عما يلي موته :

سأرى أجراء نفسي سافرت سائحات بيّ في كل الجهات .

ان في الجنة امناً ينتهي بي لثبات ؛
وبلذع النار ابقى دائما في يقظات .

دونكم امثلة اخرى على هذيانه :

سعد الضرير : فليس دون خياله حدٌ ؛ وليس لفكره تقيدُ .
امّا البصير فكل مرئياته ابداً حدود جمة وقيود .

لغة النثر تكتم الحق خوفاً ؛ لغة الشعر تنطق الحق جهرا .
ما جنى قلبيَ يوماً من سوى العقل شقاء !

يقول لإخوانه البشر « اصلحوا خُلقكم لتُلغى الحكومات » ؛ كأن هذه لا غاية لها سوى اصلاح الاخلاق ومعاقبة الجرائم . وما هو اغرب جداً من ذلك انه يحث الناس على الاقتداء بالحيوانات ؛

لكي يرجعوا من عقلهم لغرائزٍ بها سعد الاجداد في الكونْ من قبلِ

يا ليتني كنت كالحيوان عيشيَ من حشائش الأرض كي أنأى عن المدُنِ ،
حيث الطبيعة حاكت لي اناملها من شعر جسمي رداءً : لا من القُطُنِ .

كل ما ذكرناه من انواع التناقض بل الهذيان المحض في شعر احمد ، برهان قاطع على اختلال عقله . من جهة اخرى قد اعترف هو نفسه ، غير مرة ، بجنونه وافتخر به :

اخفيتُ عنكم جنوناً . لو أبوح به ؛ لكنت اسكن في دار المجانين .
لي فكرٌ قد خالف الناس . حتى خلتُ انّ قد أصيب عقلي بمسّ .
قيل لي : « فيمَ انت تنظم شعراً ضد ما قلته من الاشعار ؟...
قلت : « اني ؛ ان لاح فكر جميل ضد فكري . يبز لي اوتاري ...
ثم لا اختشي الجنون بحالٍ ؛ فالمجانين اعظم الأحرار ! »

كبرياؤه الفاحشة : التي تجعله يزعم انه نسيج وحده بين ربوات البشر ؛ واختلال عقله الحائل دون رؤيته الخير والفضيلة . حتى في صفوة الناس ؛ قد صيّراه يحتقر جميع ابناء جنسه ويبغضهم . عبّر مراراً عن ذلك النفور الغريب ؛ اليكم بعض اقواله في هذا الشأن :

الكون والحياة خيرٌ كلها ؛ وليس الا الناس في العالم شرّ .
الناس طُرّاً ذئبٌ لأضعفهم ؛ والكل منهم للذئب كالشاة .

لم التق في الارض خلاً ؛ فهل أرى في السماء ؟

فليتني كنت في بيداء مقفرة وُلدت ؛ ما لي بجنسي اذنى ايناس !

كثيراً ما صرّح بتفضيله الحيوان على الانسان :

لم يرتق القرد اذ قالوا « غدا بشراً » : لكنه انحطّ من عال فصار دني ؛
فالقرد يعمل ما توحيه فطرته ؛ والمرء يعمل ضد العقل والسُنَن !

يقول لقط خصه بحبه الحمار :

وكنت اودّ لو تغدو ليّ ابناً اورّثه ، اذا صح النبي .

احمد متكبر ، مجنون ، متشائم ، عبد عدة شهوات جامحة ؛ فلا بدع بكون مدى حياته ولحمتها الحزن والضجر الدائمان ، وقد اعترف بذلك مراراً عديدة :

كل يوم لديّ مبدأه همٌ وجهد ، ومنتهاه استياء !

أهوى الخريف لانه مثلي حزين يائسٌ ؛
اوراقه مثلي ذوت ، والغصن نحاوٍ يابس ؛
الطير مثلي نادب ، والجو مثلي عابس ؛
عمري خريف كله ، والجو فيه معاكس .

أمّا الربيع فنسمتي منه جرى ووساوس ؛
انا ليس يبني والربيع تناسب ؛ وتجانس ؛
ان الربيع ليزدهي فرحاً ؛ وقلبي يائس !

في قصيدته الطويلة « ملل » يقول انه قد مل من كل شيء :

وملت انواع الجمال وعذب اشعار الغزل ...
وملت من مر الجفا ؛ ومللت من حلو القبل !

قد تفاقم حزنه الدائم. فبلغ اقصى درجات اليأس ؛ حين حُبس ثلاثة واربعين يوماً ؛ في سجن الامن العام الفرنسي ببيروت ؛ بأمر السلطة الانكليزية سنة ١٩٤١ ؛ عند احتلال الانكليز لبنان. وصف لنا شيئاً من تباريحه الفادحة وقتئذ ؛ في ديوان ، عنوانه « حصاد السجن » ؛ هاكم بعض ابياته :

ايُحبس شاعر حر وقيد تضايقه النسائم بالهبوب ؟
يرى من جسمه سجناً عليه ؛ يكاد يهم منه بالوثوب .
رأيتُ السجن مجتمع الرزايا ؛ ولا كالسجن للرجل الأديب ؛
وكيف يطيق ضيق السجن حرٌ يضيق به فضا الكون الرحيب ؟

ضاقت مذاهبه على الارض ، مع كثرة سياحاته وسعيه الدائم وراء الملذات الشهوانية وغيرها ، فيئس من وجود السعادة المحضة على الارض ، وشعر في اعماق نفسه المعذبة ، بتوق غريزي شديد الى سعادة كاملة بعد الموت ، فاجاد التعبير عنه ، مشوباً بالارتياب المألوف ، في « الوطن المجهول » .

ابغي أسافر ، لكن لا الى جهة ، كأنني عن وجودي ابتغي السفرا ،
فكم قصدتُ جهات ما لها عدد ، فما بلغت بها قصداً ولا وطرا ؛
فلا الاقامة في الأوطان تُسعدني ولا التغرب يجلو عنيّ الكدرا !
انى جلست ؛ رأيت النفس في قلق يثيرها ، فتعاف الصحب والسمرا ؛
واين سرتُ ، رأيت القلب منقبضاً والعين في كل شيء تبغض النظرا ،
كأنني باحث في الكون عن وطن به شُغفت ولم اعرف له اثرا ؛
لم القه ، وانا حي وربي رمق ؛ فهل سألقاه لما اغتدي خبرا ؟

النجفي المُعجب بذاته ، المتيم بحب النساء والخمر ، المحتقر والمبغض لجميع البشر ، يحاول مع ذلك ، في كثير من قصائده ، اصلاح ما شاهده

من انواع الفساد والخلل في اخلاقهم . ولا يسر ان يُبدي في هذا الشأن آراء سديدة نبيلة . يقول عن انبياكهم في الخلاعة :

بالمآل نسخر للفجور : ومن ثرى ... ببيوتنا تتصور الاطفالُ !
ان دام هذا الحال في اخلاقكم . ... سيكون شرًّا منه الاستقبال .

ينسب بالصواب كثرة الفقراء اضافة الى اهتضام آلاف الاغنياء لحقوقهم :

قد كثّر الفقراء ظلم ذوي الغنى . ... لم يكثر الفقراء حكم الباري ؛
كم عاش قوم من طوى قوم ، وكم ... عمرت ديارٌ من خراب ديار !

يريد اصلاح شعرنا العصري . فيحث ارباب القريض على عدم التزلف الى العظماء للتمتع بحمايتهم . وعدم تمليق شهوات الناس المنحرفة ، عن طمع بالشهرة الزائفة . يحرضهم خصوصاً على عدم رثاء كل من مات من كبار القوم ، ولو كان عادم الفضل . يقول عن تقدير معظم الناس لمئات الشعراء المتهكين حرمة فنهم السامي :

كيف ترجو تقديرهم دون مدح ... او تهانٍ تُرف في الأعياد ؟
انت لم تمدح الملوك لترقى ؛ ... ما ملوك الورى سوى افراد .
انت لم ترث من قضى من كبارٍ ؛ ... فلديك الكبار كالاولاد ؛
ولديك الرثاء اولى واحرى ... بانماس تعيش بالاجياد .
لم تحرك بنظم شعرك يوماً ... شهوةً هم لها من العُباد ؛
لم تمثل لهم جمال العذارى ... كاشفات الصدور والاجياد .

يقول عن رثاء التزلف :

ما مات ذو شأنٍ بنا إلا بدت ... شعراءُ قد جلّت عن الاحصاء ،
فكأنهم ديدان جسم ميّت ... نُشرت من الاموات في الأحياء ؛
يرثون ميّتهم بشعرٍ ميّت : ... قد كان اولى منهمُ برثاء ،

يُبدي سخطه على الكذب والفساد اللذين تغذّي بهما الاذاعة ربوات العقول :

عقولنا من اذاعاتٍ لنا فسدت ؛ ... ما أُعطيت من غذاءٍ ، فهي تأكلهُ .

حتى البهائم بعضّ الاكل ترفضه ؛ وما يُذاع : على النعلات نقبهُ .
هذا يذيع وذا جهلاً يصدّقه ؛ وقد غدا مرشد الاعمى يضلّلهُ .

يعبّر التاريخ بكرنه يثير تباغض الشعوب بحفظه ذكر الحروب الظالمة التي نشبت بينها :

ينبش الأحقاد من عصر قديم مظلم ويثير الحرب بالذكرى لسفوك الدم .

له في ميدان الاصلاح اقتراحات جد غريبة ؛ من جملتها ان تطلق على شوارع احياء النضائل . بدلاً من اسماء الرجال المشاهير .

يزعم ان التقدم الرائع السرعة للعلوم الطبيعية ؛ هو السبب الاصلي لما اتصفت به حروب جيلنا من اهوال التقتيل والتدمير ، فيتمنى عودة الجيل القديم . ذلك الرأي فائل كل الفيلولة ، وقد كذّبه صاحبه ؛ وقتاً لعادته في مناقضة ذاته . وصرّح باننا ، لا مناص لنا من الهيجاء الا باستئصال رذائلنا :

كيف نرجو من الحروب خلاصاً بنفوس مجبولة بالشرور ؟
ليس ننجو من مُقبل الحرب الا ان غدونا ملائكاً بالضمير .
دفعتنا العلوم في السير حتى اوصلتنا الى المضيق الخطير ؛
فرقفنا ، لا نستطيع رجوعاً ، وخشينا من اتصال المسير .
ايها الجهل، هل تعود الينا منقذاً للورى من التدمير ؟
ارعبتنا العلوم من دون خُلق ، فدعونا «ياجهل، هل من مجير؟»
يا وحوش الظلام ،عودي الينا ؛ انقذي الكون من وحوش النور !

كيف يزعم ذلك الزعم الفاسد ، وقد اعترف مرارًا بان فساد قلبه الامّار بالسوء ، لا يزال يحاربه ؛ حتى في شيخوخته ؛ ما لم تكبح جماحه ارادة قوية نبيلة :

إن يهدّ، كبّلته ، او هاج، كبلني ؛ وهكذا نحن في حرب بلا سأم ؛
فلا أنا عنه أُغضي ، اذ تيقّن لي جنونه ، وهو قد اشفى على الحرم ؛
كلا ، ولا هو مني يستحي زمناً ، وقد رأى الشيبَ كالاكليل في لُمتي!

الوصف من اهم المواضيع التي عكف على معالجتها . وصفه محاسن الطبيعة غير دقيق . بيد انه اكثر اجادة لوصف بعض احوال البشر والحيوانات والاشياء . يلتذ القارئ بتصويره شقاء الفلاح العراقي . تباريح المولد اليتيم : نافخ الناي الاعمى . المغني الضارب الكسنجة . صباغ الاحذية ، اللاعبين بالنرد . اللاهين بكرة القدم : صاحب مقهى .

وقد اتقن ايضاً وصف السنة وتفصيل ما تُلقيه علينا من العبر الجميلة . وصف العُث الدائب على قرض الكتب . والذبابة اعبوس التائق الى الخربة . والفأرة المزعجة لنومه مدّة طويلة . والقط المستأثر بحبه الرقيق .

حسن ايضاً تصويره للزهرة اليتيمة وغرفة الشاعر ومستشفى فيه انواع العلل والاعمال ، فقال عنه ساخراً :

ومستشفى متى يدخلْ اليــه مريض ، يسترحْ من ذي الحياةِ !

لئلاّ نبخس النجفي شيئاً من حقه ، نقول ان ذلك النوع من الوصف الذي اجاده في قصائد عديدة ، قلما نجده عند سائر شعرائنا المعاصرين .

قد عالج ايضاً غير مرة الشعر الوطني ، ولا سيما في « شكوى العراق » من بلاياها ، حيث يقول :

والنفط يجري في العراق ، وما لنا ليلاً سوى ضوء النجوم سراجُ !...
لا يعرفونكِ إن حقولك اجدبت ، بــل يعرفونك اذ يحين خراجُ .

فرغنا من ذكر اهم مواضيع شعر النجفي ، فلا يبقى علينا سوى ابداء رأينا في محاسن انشائه ومساوئه .

من اجل حُلى تعبير الوضوح والانسجام ونبذ الكلمات المماتة : في اكثر ابياته . نضيف إلى ذلك بعض الابتكار في الخيالات ، كما يتضح من الامثلة التالية : هل اشتقتَ حتى جئت الى البر ، يا بحر ؟

فضعوا اساس المُلك فوق جماجمٍ ، فعلى الجماجم يُبنى الاستقلال !

نحن من موت شعبنا في مآسٍ . وكأنّا للهـــم في اعراسِ !
توقظون الاجسام في كل صبحٍ . وتظل العقول غـــير مُفيقهْ !
لا أضاءت في دُجانا شمعةٌ نورهـــا من خصـــنا مقتبسُ !
بعض الورى كالبعوض . حرقته يعيش ، لكن على اذى الناسِ .
انوعـــد افيون نومٍ يأتي بحُلم سعيـــدِ .

معايب انشائه كثيرة . لا يندر فيه الخشر : ضُعف ووهَن . هُزء وسُخر ، العزم والحزم . الايحاع والآلام .

التصنع يشين مئات من خيالاته ، وهو يزعمه ابتكارًا ممتازًا ؛ هاكم عدة امثلة عليه : تعلّموا رقص الحروب — الشفق الوردي قد صيغ من خدود الكعاب — انهزام جيش الظلام — ركبنا بطن فيل (يعني سيارة) فوق افعى (يعني طريقاً كثير المنعطفات) .

يقول في تعظيم شاعريته :

بنا القنابل قد كتبت قصائدي فأضفت نـــيراناً الى نيرانِ !
واصبح لي على الأفلاك بيتٌ يزيّن صدرَه لي فيه كُرسي !

يُطري المتنبي هذا الاطراء المستهجن :

كل معنى قنابلٌ لك تدوي ، كل لفظ دبّابةٌ لك ضخمهْ .

هكذا يصف لنا تباريح همومه :

يجرحني حسام همي ؛ عجباً ان لا تراني بالدما مضرّجا !

يقول عن الخال :

هو في ناصع الخدود كزنجيٍّ يرى البيض حوله اعداء .

وعن الرعد :

كأن هزيم الرعد قـــائد جحفلٍ من السُحب في سيف من البرق لامعِ .

وعن الارض :

بنا تدور كتاع تاجرٍ يُعرض للبيع ؛ ولكن ما نقتُ .

وعن القمر : رحى تذري ضياءً حولها : وهي تدور .

انتَ صهباءٌ تجلت بين كأس من ضياء .

يقول عن البدر :

فلو انني استطيع ، آويته الى حماي لأدفيه من القلب في وقد .

المائفة من عاداته الراسخة : وقد ذكرنا منه نماذج عديدة ؛ اليكم غيرها :

رأى كاهلي حمل الجبال خفيفاً — متى فلكها على الشيب يجري — مُد لي في السماء ابهى بساط .

يقول عن شخص تثيل الظل ، بعدما تخلص منه : جبلٌ تزحزح عن ضلوعي .

وعن سائقة سيارة :

أهوى ركوباً ليَ في جنبها ؛ او لا ؛ فدعآ[1] بأتُسيلها .

وعن الطيور :

ومسرحكم طبقات النقاء ، وبعض رفاقكمُ الانجمُ .

وعن الشاي :

لقد نال من طبع الحياة حرارةً ؛ فان يسرِ في ميتٍ من الناس ينُشرُ!

من جهة اخرى عروبة النجفي مشوبة بنقائص عديدة ، ومنها اغلاط جسيمة . قد استعمل مرارًا باء الجر بعد افعال متعدية بذاتها : يقول لهالصغار بانه قد مات ابوه — لا يقبل الناسُ بالمساواة — خُنت بالارض (يعني خنت الارضَ) — رجوت بان تعيش — اني موكّل بانتصار — جهلاً بهم (يعني جهلاً لهم) — أدير برأسي .

١) دعىَ ليست عربية بمعنى داسَ ، وقد استعملها النجفي غير مرة .

قد حظي بوضع (هل) قبل سين المستقبل وقبل (أنّ) : هل سيثوب ؟ هل سيُثبت؟ — هل أنّ جسمك اتى بجناية ؟

استعمل عدة كلمات بمعان او بصيغ غير عربية : هواه (بمعنى هويه اي احبه) — ناموس (بدلاً من بعوض) — دهسَ (داسَ) — جانح (جناح الطير) — عناقد (جمع عنقود) — مئونة (مؤونة) .

الاغلاط كثيرة في الحركات : فيهُم (فيهم) : لديهُم) (لديهم) : تبكيهُم (بكيهم) : ضُغام (ضَغام) — عَلالة نور (غِلالة) .

مخالفة قواعد النحو غير نادرة : ايها الشمس — مضى سبعة وستون حُجة (سبع وستين) — آلاف شكل (آلاف اشكال) — دخلوا الى الدنيا (دخلوها).

قد اكتفينا بذكر شيء قليل من تلك الاخطاء ، لعدم إضجار قرائنا .

خلاصة رأينا في معاني ومباني شعر احمد الصافي النجفي : انها دون صيته بمراحل ، فانه ، وان لم يخلُ من عدة قصائد جميلة ، مشحون بالمادية ، الكبرياء ، الخلاعة ، الخذيان ، التشاؤم ، الحزن الباطل وبغض كل الناس ، فضلاً عما يشين انشاءه من التصنع والمبالغة وانواع الاغلاط اللغوية .